الإصلاح الإنجيلي والثورة الصناعية والتطور التكنولوجي
الدكتور القس/ موريس يوسف
راعي الكنيسة المشيخية، لاكرسانتا، كاليفورنيا

لم تكن حركة الإصلاح الإنجيلي حركةً دينيةً سعت إلى إصلاح الكنيسة وتصحيح مسارها اللاهوتي والكتابي فقط، بل كانت حراكًا شمل كل مناحي الحياة المختلفة. العلاقة بين الإصلاح الإنجيلي والثورة الصناعية هي علاقة تبادلية؛ فلقد أثَّر اللاهوت المُصلَح في مسيرة الثورة الصناعية وفي ذات الوقت تأثر بها. ساعدت حركة الإصلاح الإنجيلي في التمهيد للثورة الصناعية، وبالطبع التطور التكنولوجي اليوم، وفي نفس الوقت تأثرت بها.

على الرغم من أنَّ فكرة نظام اجتماعي جديد قائم على التغيير الصناعي والتطور التكنولوجي قد ظهرت في نهايات القرن السادس عشر، إلاَّ أنَّ أول استخدام مُثبَت لمصطلح "الثورة الصناعية أو La révolution industrielle" كان في رسالة بتاريخ ٦ يوليو ١٧٩٩م كتبها المبعوث الفرنسي لويس غيوم أوتو، معلنًا أن فرنسا قد دخلت في سباق التصنيع. ما قصده لويس غيوم أوتو بالثورة الصناعية هي انتشار وإحلال الميكنة محل العمل اليدوي، والذي شهدته أوروبا الغربية مع بدايات القرن السابع عشر. شملت الثورة الصناعية أيضًا آنذاك نهضة علمية شاملة؛ فتنوعت الأبحاث والتجارب لتشمل مختلف فروع العلم من عمليات التصنيع الكيميائي الجديدة، إنتاج الحديد، ازدياد استخدام الطاقة البخارية والمائية، تطوير أدوات الآلات، وظهور نظام المصنع الميكانيكي. كان للثورة الصناعية الأثر البالغ على الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية سواء في أوروبا أو خارجها.

لماذا يجب أن تنشغل الكنيسة بقضايا التطور التكنولوجي والذكاء الاصطناعي؟ تناقش هذه الدراسة الأسس اللاهوتية التي بنى عليها الفكر الإنجيلي المُصلَح انشغاله بقضايا الثورة الصناعية والتطور التكنولوجي، والتي من خلالها أيضًا يشتبك الفكر اللاهوتي اليوم مع قضايا الذكاء الاصطناعي بكل ما يحمله من تحدِّياتٍ وآمال. تطرح هذه الدراسة أساسين رئيسَيْن كأطر لاهوتية للتعامل مع الثورة الصناعية والتقدم التكنولوجي عمومًا، ومع قضايا الذكاء الاصطناعي خصوصًا. هذان الأساسان هما الفكر المُصلَح عن السوتيرولوجي Soteriology، أو مفهومنا الكتابي الخاص بالخلاص، والفكر المُصلَح الخاص بالإسخاتولوجي Eschatology، أو مفهومنا الكتابي المتعلق بالأخرويات.

أولًا: نحو مفهوم شامل للخلاص

الخلاص، كمفهوم وممارسة، في قلب إيماننا المسيحي. لكنَّ السؤال الذي يجب أن تصارع معه الكنيسة دائمًا هو: ما هو الخلاص؟ في رأيي، تقع الكنيسة في واحدٍ من خطرين في مفهومها لعقيدة الخلاص، فإما أن "نُرَوْحِنَه" over-spiritualized ونحصره في الخلاص الروحيّ أو الخلاص من سلطان الخطية وعقوبتها، وإما أن نحصره في مفهومٍ ماديٍّ بحت أو over-materialized. كلا النقيضين له خطورته على حياة وفكر الكنيسة اليوم.

يقدم الكتاب المقدس، من التكوين للرؤيا، مفهومًا شموليًّا للخلاص؛ فالخلاص من سطوة الخطية وسلطانها هو خلاصٌ، والخلاص من العبودية والسبي، من القهر والظلم، من المرض والضعف هو أيضًا نوعٌ من أنواع الخلاص. الخلاص الروحي والخلاص الزمني هما وجهان لعملةٍ واحدةٍ، بل ويحملان القدر نفسه من الأهمية.

الخلاص في المفهوم المسيحي والكتابي هو خبرةٌ مغيِّرةٌ transformative، خبرة لا مثيل لها! هذا التغيير إذًا، في قلب إيماننا المسيحي. ألسنا نحن أنفسنا خطاة "تغيَّرنا" بعمل النعمة في حياتنا؟ يقول الدكتور رونالد كول تيرنر، أستاذ اللاهوت والأخلاق بكلية لاهوت بتسبرج، بنسلفانيا، الولايات المتحدة الأمريكية: "إنَّ رجاء التغيير هو جوهر حياتنا المسيحية. إنها عملية تبدأ حتى قبل أن ندركها، وتستمر إذ نكرس أنفسنا لها، وتكتمل في الأبدية. نحن نتغير خطوةً بخطوةٍ في هذه الحياة في رجاء أن تصبح حياتنا شيئًا يفوق الوصف في الأبدية."[1]

[1] Ronald Cole-Turner, "Going Beyond the Human: Christians and Other Transhumanists," *Theology and Science* 13, no. 2 (April 2015): 151.

هذا التغيير الذي نتوق أن نراه في أنفسنا وفي عالمنا يجد جذوره في تجسُّد الابن، الذي أتى لتكون لنا حياةٌ وليكون لنا أفضل. إن تجاهلَتْ الكنيسة هذا البعدَ الشموليَّ للخلاص، فإنها تضيّع على نفسها فرصةً رائعةً لمشاركة الله عمله الرائع في العالم من خلال التطور العلمي والتكنولوجي. لا عجب أنَّ اللاهوت المسيحي كان، ويجب أن يكون دومًا، بجانب كل الحركات الروحية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتعليمية، التي من شأنها تحسين أوجه الحياة المختلفة.

عبَّر كُتَّاب الكلمة المقدسة عن هذه الطبيعة الديناميكية للخلاص كونه تغييرًا شاملًا ومستمرًّا بطرقٍ عديدةٍ من سفر التكوين لسفر الرؤيا. يربط الرسول بولس في ٢كورنثوس 3: 18 بين عملية التغيير المستمرة هذه "وَنَحْنُ جَمِيعًا نَاظِرِينَ مَجْدَ الرَّبِّ بِوَجْهٍ مَكْشُوفٍ، كَمَا فِي مِرْآةٍ، نَتَغَيَّرُ إِلَى تِلْكَ الصُّورَةِ عَيْنِهَا، مِنْ مَجْدٍ إِلَى مَجْدٍ، كَمَا مِنَ الرَّبِّ الرُّوحِ"، وبين تلك الصورة "عينها" التي تشوهت تمامًا بالسقوط في جنة عدن، تكوين 1: 26 وتكوين 3: 1-7. تحمل رسائل الرسول بولس أهميةً خاصةً في التركيز على الطبيعة المتجددة لعمل الإنجيل في العالم أو ما يسميه اللاهوتي الأمريكي ستيفن فنلان بـ The transformative nature of the soteriological reality of the gospel.[2]

ثانيًا: إعادة صياغة الفكر اللاهوتي الخاص بالأخرويات

ليس هدف هذه الدراسة دراسة عقيدة الأخرويات أو الـ Eschatology، لكن هدفي هنا هو إلقاء الضوء على أهمية الفهم الصحيح لعقيدة الأخرويات وكيف من شأنه أن يساعد الكنيسة والفكر اللاهوتي على إقامة حوار بنَّاء مع معطيات الثورة الصناعية والتقدم التكنولوجي والانشغال بتحديات ورؤى الذكاء الاصطناعي اليوم. كيف يساعدنا الفهم الصحيح لعقيدة الأخرويات كونها "الموجود والذي ننتظره أيضًا أو The already and not yet"، في تناول قضايا الذكاء الاصطناعي بوعي أعمق؟ هل يمكن اعتبار التقدم التكنولوجي اليوم جزءًا من عمل الله الفدائي للخليقة التي تئن وترزح تحت سلطان الخطية؟ أليس هذا ما نشعر به عندما يتوصل العلماء إلى دواءٍ شافٍ لمرض عضال طالما سبَّب ألمًا وحزنًا لبني البشر؟ أليس هذا ما نشعر به عندما تُسَن القوانين لحماية البيئة والحفاظ عليها؟

ما هو الإسخاتولوجي؟ الإسخاتولوجي هو عِلم دراسة الأخرويات، أو الأمور المتعلقة بالأيام الأخيرة. في لغة العهد الجديد، الكلمة "إسخاتوس *eschatos*" تعني الأيام الأخيرة (أعمال 2: 17، ٢تيموثاوس 3: 1، عبرانيين 1: 2، يعقوب 5: 3، ١بطرس 1: 20، ٢ بطرس ٣: ٣). واحد من أهم ملامح الإسخاتولوجي الكتابي أن مركزيته شخص ربنا يسوع المسيح؛ فهو الأول والآخر، البداية والنهاية، الألف والياء، به كل شيء كان وبغيره لم يكم شيء مما كان. تكلم اللاهوتي الكاثوليكي الألماني كارل رانر Karl Rahner (١٩٠٤-١٩٨٤م) عن هذا الأمر قائلًا: "إنَّ المسيح نفسه هو المبدأ التفسيري لكل التأكيدات الأخروية."[3] يتكلم العهد الجديد في أفسس 1: 10 عن أنَّ الله سوف "يَجْمَعَ كُلَّ شَيْءٍ فِي الْمَسِيحِ، مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا عَلَى الأَرْضِ". عبرَّ الرسول بولس في كولوسي 1: 18-٢٠ عن نفس هذه الحقيقة قائلًا: "وَهُوَ رَأْسُ الْجَسَدِ: الْكَنِيسَةِ. الَّذِي هُوَ الْبَدَاءَةُ، بِكْرٌ مِنَ الأَمْوَاتِ، لِكَيْ يَكُونَ هُوَ مُتَقَدِّمًا فِي كُلِّ شَيْءٍ. لأَنَّهُ فِيهِ سُرَّ أَنْ يَحِلَّ كُلُّ الْمِلْءِ، وَأَنْ يُصَالِحَ بِهِ الْكُلَّ لِنَفْسِهِ، عَامِلًا الصُّلْحَ بِدَمِ صَلِيبِهِ، بِوَاسِطَتِهِ، سَوَاءٌ كَانَ: مَا عَلَى الأَرْضِ، أَمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ."

هناك أمران مهمان يجب الانتباه إليهما بخصوص علاقة الإسخاتولوجي بالتطور التكنولوجي. الأمر الأول: يقدم الكتاب المقدس لاهوتًا أخرويًّا مُحقَّقًا أو Inaugurated Eschatology. فكما نعلم، نحن لا ننتظر الأيام الأخيرة أو "الإسخاتون"، لأن الأيام الأخيرة هي تلك الحقبة الزمنية التي تقع بين مجيء ربنا يسوع المسيح الأول بالجسد ومجيئه الثاني مُمَجَّدًا. فنحن في الأيام الأخيرة التي ستكتمل بمجيء ربنا يسوع المسيح الثاني وفدائه الكامل للإنسان وللخليقة. الإسخاتولوجي إذًا هو الموجود بالفعل والذي ننتظره في ذات الوقت The already and the not yet. في معرض حديثه عن الأيام الأخيرة، يقول الرسول يوحنا في ١يوحنا 2: 18: "أَيُّهَا الأَوْلاَدُ هِيَ السَّاعَةُ الأَخِيرَةُ. وَكَمَا سَمِعْتُمْ أَنَّ ضِدَّ الْمَسِيحِ يَأْتِي، قَدْ صَارَ الآنَ أَضْدَادٌ لِلْمَسِيحِ كَثِيرُونَ. مِنْ هُنَا نَعْلَمُ أَنَّهَا السَّاعَةُ الأَخِيرَةُ." في بداية خدمته، ومع المناداة بالإنجيل، برسالة الأخبار السارة، تكلَّم الربُّ يسوع عن اقتراب ملكوت الله كواقع مُعاش ومُحقَّق بيننا قائلًا: "وَبَعْدَمَا أُسْلِمَ يُوحَنَّا جَاءَ يَسُوعُ إِلَى الْجَلِيلِ يَكْرِزُ بِبِشَارَةِ مَلَكُوتِ اللهِ وَيَقُولُ: قَدْ كَمَلَ الزَّمَانُ وَاقْتَرَبَ مَلَكُوتُ اللهِ، فَتُوبُوا وَآمِنُوا بِالإِنْجِيلِ." فالملكوت هنا والآن، لكن أيضًا تصلي الكنيسة: "ليأتِ ملكوتك كما في السماء كذلك على

[2] Stephen Finlan, "Can We Speak of Theosis in Paul?" in *Partakers of the Divine Nature: The History and Development of Deification in the Christian Traditions, eds.* Michael J. Christensen and Jeffery A. Wittung, (Grand Rapids, Baker Academic, 2008), 73.

[3] Karl Rahner, "The Hermeneutics of Eschatological Assertions", in *Theological Investigations IV: More Recent Writings*, trans. Kevin Smyth (London: Darton, Longman & Todd Seabury, 1966), 343.

الأرض"، لكنها لا تقف سلبية، مكتوفة الأيدي منتظرة أن يتحقق الملكوت بطريقة خارقة. على العكس تمامًا فهي تقوم بدورها الإنساني بكل أمانةٍ، وتسعى جاهدةً لدعم كل الجهود الإنسانية والعلمية والتقنية التي من شأنها تحقيق ملكوت الله في السماء كذلك على الأرض.

الأمر الثاني: يقدِّم الكتاب المقدس لاهوتًا أخرويًّا ديناميكيًّا حيويًّا أو Progressive Eschatology. ما هي الصورة التي يرسمها لنا الكتاب المقدس عن الله؟ الله الذي نعرفه من خلال كلمته، المكتوبة والمتجسِّدة، هو إلهٌ عاملٌ، فعَّال في العالم وفي التاريخ الإنساني. الله ليس بعيدًا عن عالمنا، هو عمانوئيل. يقول اللاهوتي والفيلسوف الفرنسي بيير تلهارد دي شاردين (1955-1991م) Pierre Teilhard de Chardin "إنَّ المسيح هو البداية والنهاية، الفاعل والقائد، المركز والرأس، المقدِّس والمجدِّد، رأس الحربة، وكذا نهاية وكمال هذا الوجود."[4] قال الرب يسوع هذه الكلمات في يوحنا 5: 17: "أَبِي يَعْمَلُ حَتَّى الآنَ وَأَنَا أَعْمَلُ". لقد أوجدَنا اللهُ في هذا العالم لنقوم بالأعمال التي أوكَلَها إلينا "يَنْبَغِي أَنْ أَعْمَلَ أَعْمَالَ الَّذِي أَرْسَلَنِي مَا دَامَ نَهَارٌ. يَأْتِي لَيْلٌ حِينَ لاَ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَعْمَلَ" (يوحنا 9: 4).

الخليقة حدثٌ مستمرٌّ لم ينتهِ، وكذا البشرية في حالة تطوُّرٍ مستمرّ لن يتوقف حتى اتحادنا الكامل بالمسيح في نهاية الزمان. وبالتالي الإسخاتولوجي الصحيح لا يقودنا للانعزال عن العالم، بل الاشتباك الأمين مع قضاياه وهمومه، بما في ذلك قضايا الذكاء الاصطناعي بكل ما تحمله هذه التكنولوجيا من فُرَص وتحديات. أؤمن إيمانًا راسخًا أنه إن فكرت الكنيسة بشكلٍ مختلفٍ في عقيدتَي الخلاص والأخرويات، السوتيرولوجي والإسخاتولوجي، لانفتحت أمامها آفاق جديدة وفرص رائعة لخدمة البشرية، والخليقة، والعالم الذي أرسلنا الله له.

المراجع

Burdett, Michael S. *Eschatology and the Technological Future*. New York: Routledge, 2015.

Cole-Turner, Ronald. "Going Beyond the Human: Christians and Other Transhumanists." *Theology and Science* 13, no. 2 (April 2015): 150-161.

Finlan, Stephen. "Can We Speak of Theosis in Paul?" in *Partakers of the Divine Nature: The History and Development of Deification in the Christian Traditions*. Edited by Michael J. Christensen and Jeffery A. Wittung. Grand Rapids, Baker Academic: 2008.

Rahner, Karl. "The Hermeneutics of Eschatological Assertions", in *Theological Investigations IV: More Recent Writings*. Translated by Kevin Smyth. London: Darton, Longman & Todd Seabury, 1966.

[4] Michael S. Burdett, *Eschatology and the Technological Future* (New York: Routledge, 2015), 128.